

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَإِنْ تَبَتُّمُ فَلكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(١)

هو حس غليظ إذن ذلك الذي كان يتحرك به وله المجتمع الجاهلي قبل البعثة المحمدية وحسبك من بشاعة أن يئد الرجل ابنته بيديه خشية العار أو خشية إملاق أو كلاهما على السواء .. أو أن تقوم الحروب أعواماً طويلاً من أجل أمر لا يؤبه له في موازين العقلاء ، على ما هو معروف ومشهور .

وقد كان جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - من أصدق الناس تصويراً لهذه الحالة وذلك في كلمته التي قالها للنجاشي إبان الهجرة الأولى إلى الحبشة حين قال :

« أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف »^(٢) .

وكان لسيطرة المنزح الحسي على أهل الجاهلية العربية أثره غير المحدود في الإغراق الذي لا نظير له في عبادة الأصنام إلى حد أنه كان في جوف الكعبة وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنماً ، وكان في كل دار من دور مكة صنم يعبدونه^(٣) !

(١) البقرة : الآية ٢٧٩ .

(٢) سيرة ابن هشام (١ : ٣٣٦) .

(٣) السيرة النبوية للأستاذ الندوي (ص ٦٩) عن الأصنام لابن الكلبي .